التراث العربي المسيحي

١٠

مجموعة نصوص وأبحاث
حول إنتاج الفكر العربي المسيحي القديم

بإدارة المطران ناوفيطوس إدلبي
وبالتعاون مع الأب سمير خليل اليسوعي

ميمر
في إكرام الأيقونات

لمار ذورس أبي قرة
(المتوفى حول سنة ٨٢٥ م.)

حققه وقدم له وفهرسه
الأب الدكتور اغناطيوس ديك
من اكليروس أبرشية حلب
للروم الكاثوليك

المكتبة البولسية
جونيه - ص.ب ١٢٥
لبنان

التراث العربي المسيحي
دير المخلص ميخائيل
ص ت ٤٤
دوق مكايل - لبنان

المعهد البابوي الشرقي
روما

١٩٨٦

المجلدات الصادرة في هذه المجموعة

١ – **مصباح العقل**، لساويروس بن المقفّع، تحقيق **الأب سمير خليل اليسوعيّ**، ١٩٧٨.

٢ – **مقالة في التوحيد**، ليحيى بن عديّ، تحقيق **الأب سمير خليل اليسوعيّ**، ١٩٨٠.

٣ – **ميمر في وجود الخالق والدين القويم**، لثاوذورس أبي قرّة، تحقيق **الأب اغناطيوس ديك**، ١٩٨٢.

٤ – **مقالة في التثليث والتجسّد وصحّة المسيحيّة**، لبولس البوشيّ، تحقيق **الأب سمير خليل اليسوعيّ**، ١٩٨٣.

٥ – **علماء النصرانيّة في الإسلام**، للأب لويس شيخو، تحقيق **الأب كميل حشيمه اليسوعيّ**، ١٩٨٣.

٦ – **حواشي ابن المحرومة على كتاب «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث» لابن كمونة**، تحقيق **المطران حبيب باشا**، ١٩٨٤.

٧ – **سليمان الغزّي**، مقدّمة عامة لمؤلفاته الشعرية والنثرية، **للمطران ناوفيطوس ادلبي**، ١٩٨٤.

٨ – **سليمان الغزّي**، الديوان الشعري، **للمطران ناوفيطوس ادلبي**، ١٩٨٥.

٩ – **سليمان الغزي**، **المقالات اللاهوتية النثرية**، للمطران ناوفيطوس ادلبي (قيد الطبع).

١٠ – **ميمر في اكرام الأيقونات**، **لثاوذورس أبي قرّة**، للأب الدكتور اغناطيوس ديك، ١٩٨٦.

توطئة

لقد نشرنا عام ١٩٨٢ دراستنا الأولى حولى أبي قرّة تحت عنوان «ميمر في وجود الخالق والدين القويم» وهي تشكل المجلّد الثالث من سلسلة التراث العربي المسيحي. وقد وعدنا آنذاك بمتابعة الجهد لنشر سائرمؤلفات ابي قرّة بالتتابع.

وقد تيسّر لنا الآن تقديم مؤلَّف آخر لرائد الكتّاب العرب النصارى هو «الميمر في اكرام الايقونات». هذا الكتاب هو من خيرة ما خلّفه لنا اسلافنا العرب النصارى لغةً وفكرًا، وله قيمة لاهوتية وتاريخيّة تتخطّى موضوع المقال الخاص.

وهو لا يعني اللاهوتيين فحسب، بل يهمّ ايضا جميع المعتنين بالفكر الاسلامي لأنّه يلقي اضواء على مواقف المسلمين في مطلع العصر العباسي من رسم الصور واكرامها.

وما عاد من حاجة الى تعريف أبي قرّة بعد المقدّمة المسهبة التي صدّرنا بها «الميمر في وجود الخالق والدين القويم»، فنرجع القرّاء الى المجلّد الثالث من السلسلة ونكتفي بهذه النبذة المقتضبة لمن لم يتسنَّ لهم الاطلاع عليها.

ولد ثاوذورس ابو قرّة في مدينة الرها، في الجزيرة. في اواسط القرن الثامن الميلادي وتوفّي ما بين عامي ٨٢٥ و٨٣٠. كان ضليعًا في كافة علوم عصره وأجرى اتصالات واسعة مع رجال الفكر الاسلامي في الاوساط البغدادية. ترهّب في دير مار سابا قرب القدس حيث اطلع على التراث الذي خلّفه هناك القديس يوحنا الدمشقي. ثم أصبح اسقفًا على الملكيّين في حرّان جنوب الرها.

اجرى محاورات دينية كثيرة ، منها أمام أشوط ، أمير ارمينيا ، للدفاع عن المذهب الملكي ، ومنها أمام الخليفة المأمون لإيضاح دعائم الإيمان المسيحي . وترك مؤلفات لاهوتية ودفاعية فُقد كثير منها ولم ينشر منها الا النزر القليل . وقد تُرجم بعضها منذ القديم الى اللغتين الجيورجية واليونانية ، بينما فُقد الأصل العربي .

ولكتابات ابي قرّة مكانة خاصة اذ إنه قريب من الأصول المسيحيّة ومطّلع على الفكر الاسلامي ، وهو يحاور المسلمين والمسيحيين على السواء . إنه شاهد لايمان الكنيسة في عصره ولاهوت عربي أصيل .

الأب الدكتور اغناطيوس ديك
من اكليروس أبرشية حلب للروم الكاثوليك

فهرس الكتاب

القسم الأوّل
مَدخَلٌ إلى المَيمَر
«في إكرام الأيقونات» ١٣

الفصل الأول: المؤلف وظروف التأليف

مقدمة تاريخية ١٥

١ – مكانة ثاوذورس أبي قرة ومقاله في اكرام الأيقونات ١٥

٢ – أزمة الأيقونات ١٦

٣ – صحة المقال ٢١

٤ – تاريخ المقال ٢٤

الفصل الثاني: النص واللغة

مقدمة أدبية ٢٧

١ – تحقيق النص ٢٧

٢ – الميزات الأدبية ٣٠

الفصل الثالث: تحليل الميمر في إكرام الأيقونات ٣٦
الملخص
العنوان ٣٨
المقدمة (الرأس ١) ٣٩
الجزء ١ – رد مبدئي لا مجال للتوقف عند اعتراضات غير المسيحيين (الرأس ٢ – ٦) ٤١
الجزء ٢ – البرهان المأخوذ من التقليد الكنسي (الرأس ٧–٨) ٤٤
الجزء ٣ – البرهان الكتابي (الرأس ٩–٢١) ٤٦
الجزء ٤ – البرهان المأخوذ من العقل (الرأس ٢٢–٢٤) ٥٥

الفصل الرابع: لاهوت المقال ٥٧
أوّلاً: العبادة النسبيّة ٥٧
١ – السجود لما هو دون الله ٥٨
٢ – شفاعة القديسين ٥٩
٣ – الصور المقدسة ٦٠
ثانيًا: أصول اللاهوت – الكتاب والتقليد ٦٨
١ – الكتاب المقدس ٦٨
٢ – التقليد الكنسي ٧٢
ثالثًا: الايمان المسيحي ٧٣
ملحق: الشواهد التاريخية ٧٦
الخلاصة ٨٢

القسم الثاني

نص الميمر

«في إكرام الأيقونات» ٨٣

العنوان ٨٥

المقدمة – الرأس ١ : الاهداء والباعث على تأليف المقال ٨٧

الجزء ١ – الرأس ٢ : لو اعتبرنا اعتراضات غير المسيحيين لوجب رفض اعظم اسرار النصرانية ٩٠

الرأس ٣ : للنصرانية حكمة تفوق حكمة العالم ٩٥

الرأس ٤ : لماذا يرفض اليهود الاسرار المسيحية وغوامضها ، وهم يقبلون ما يشابهها في العهد القديم ٩٩

الرأس ٥ : أوصاف الله الغريبة عند غير المسيحيين من اهل الكتاب ١٠٣

الرأس ٦ : دعائم الايمان المسيحي ١٠٨

الجزء ٢ – الرأس ٧ : تمهيد : الكتاب ليس وحده مصدر الأصول النصرانية ١١١

الرأس ٨ : شهادات الآباء القديسين في اكرام الصور ١١٤

الجزء ٣ – الرأس ٩ : لَمْ يحظر الله السجود لغيره. المعاني المختلفة لكلمة سجود ١٢٤

الرأس ١٠ : لَمْ يحظر الله صنع التماثيل والصور بشكل مطلق ١٣٢

الرأس ١١ : السجود للصنور هو سجود الكرامة ويذهب للجهة المقصودة ١٣٩
الرأس ١٢ : رد على اعتراض : ان الصور المقدسة ليست متصلة بالله كالاشكال التي ظهر من خلالها ١٤٩
الرأس ١٣ : توضيح لما جاء في الفصل السابق ١٥٥
الرأس ١٤ : شفاعة القديسين ووساطتهم ١٦٠
الرأس ١٥ : لوحا الناموس كرما لانهما صورة تجسد المسيح ١٦٤
الرأس ١٦ : المعجزات دلالة على عمل الله وظهوره من خلال القديسين ١٧٠
الرأس ١٧ : رد شخصي على اليهود ١٧٦
الرأس ١٨ : حظر الله مؤقت ، وسببه ضعف تمييز اليهود ١٨٠
الرأس ١٩ : تشريع العهد القديم ناقص . وصايا الله لبني اسرائيل ليست كما يريد ، بل كما كانوا يطيقون ١٨٨
الرأس ٢٠ : رد على اعتراض : لا يجوز التخلي عن اوامر الله الا اذا صرح هو بذلك ١٩٥
الرأس ٢١ : اعتراض آخر : ان كنتم تسجدون للصور فلِمَ لا تسجدون للانسان وهو صورة الله ٢٠٢
الجزء ٤ — الرأس ٢٢ : المادة الخام تأخذ قيمة خاصة مما تختم به او يخط عليها ٢٠٥
الرأس ٢٣ : الاكرام والاهانة للصورة تلحق بالشخص الذي تمثله ٢٠٨
الرأس ٢٤ : من يكرم صورة المسيح يستحق المكافأة منه ، لا سيّمَا من يكرم الصليب ٢١٢

القسم الثالث

الفهارس ٢٢١

فهرس نصوص الكتاب المقدس الواردة في المقال ٢٢٣

فهرس اسماء الاعلام الواردة في المقال ٢٢٩

أولاً – اسم الجلالة : الله ٢٢٩

ثانيًا – اسماء الاقانيم الثلاثة ٢٣٠

ثالثًا – فهرس اعلام الاشخاص ٢٣٠

رابعًا – فهرس الاسماء الجغرافية ٢٣٢

خامسًا – اسماء الشعوب والمِلل ٢٣٣

فهرس اهم المفردات ٢٣٥

INTRODUCTION GÉNÉRALE AU TRAITÉ DU CULTE DES ICONES V

L'auteur et l'ambiance historique V
Le texte et le style IX
Analyse du traité XII
Théologie du traité XIV
Conclusion XXV

BIBLIOGRAPHIE SUCCINTE XXVII

القسم الأوّل

مَدخَلٌ إلى المَيمَر
"في إكرام الأيقونات"

الفصل الأول
المؤلّف وظروف التّأليف
مقدّمة تاريخيّة

١ – مكانة ثاوذورس أبي قُرَّة ومقالهُ في إكرام الأيقونات

يُشكِّل ثاوذورس أبو قُرَّة حلقةً تربطُ بين الآباء القدّيسين اليونان والكُتَّاب العرب النصارى. فهو من جهةٍ وريثُ فكرةِ القدّيس يوحنا الدمشقيّ، وقد عاش بعدَهُ بفترةٍ قصيرةٍ في دير القدّيس سابا حيثُ كان ذكرهُ لا يزالُ حيًّا، وعاصر تماماً سمّيَهُ القدّيس ثاوذورس الاستوذيتي (+ ٨٢٦)، الذي ناضلَ مثلَهُ في سبيلِ الحقيقةِ على ضفافِ البوسفور. وفي قسمٍ كبيرٍ من كتاباتهِ يُضاهي أبو قُرَّة هؤلاءِ الآباء القدّيسين، وقد أتى بإيضاحاتٍ في تفسيرِ سرِّي الثالوثِ الأقدس والتجسّدِ، تُشكِّلُ تقدُّماً حقيقيًّا بالنسبةِ لِمَن سبقوه. وقد وضعهُ ابن العبريّ على قدمِ المساواةِ مع القدّيسَين يوحنّا الدمشقيّ ومكسيموس المعترف.

ومن جهةٍ أُخرى، فقد عاصرَ الانفتاحَ الفكريَّ لدى العرب المسلمين في عهدَي الرشيد والمأمون، وحاولَ الدخولَ في حِوارٍ معهم، وإيضاحِ المعتقدِ المسيحيِّ بلغةٍ قريبةٍ من أذهانِهم، فكانَ من رُوَّادِ الكُتَّابِ العربِ المسيحيِّين[1].

ولم يكن أبو قُرَّة غريباً عن مشاكل كنيستِه وعصره. فاذا كان قد عالجَ مختلفَ العقائدِ المسيحيَّةِ الأساسيّة التي تعمَّقَ فيها الآباء الأقدمون، لا سيّمَا سرَّي الثالوث الأقدس والتجسّد، إلاَّ أنَّهُ تطرَّقَ مثلَ يوحنا الدمشقيِّ وثاوذورس الاستوذيتيّ إلى الدفاعِ عن الأيقوناتِ المقدَّسةِ وشرعيَّةِ إكرامِها، في عصرٍ قامَ الجدلُ حولَها، وشنَّ فيهِ الأباطرةُ البيزنطيّون حملةً شعواء ضدَّ مناصريها.

---

١) لقد توسّعنا في رسم شخصيّة أبي قرّة وسيرته ونشاطِهِ الثقافيّ في القسمِ الأوّل من مقدّمتنا للميمر «في وجود الخالق والدين القويم»، لثاوذرس أبي قُرَّة، الذي قمنا بتحقيقه، ويؤلِّف المجلَّد الثالث من سلسلة التراث العربي المسيحي، جونية ١٩٨٢. وقد نشير إلى هذا المجلّد في مراجعنا على سبيل الاختصار بكلمة ديك.

لقد واجهَ ثاوذورسُ الاستوذيتيُّ الأباطرةَ مباشرةً، وخاطبَهم يوحنّا الدمشقيُّ وجادلَهم من بعيدٍ وهو في مأمنٍ من بطشهم، في الدولة العربيّة. أمّا ثاوذورسُ أبو قُرَّة فهو يتوجَّهُ بالعربيَّةِ إلى بني قومهِ الذين أخذوا يشكِّكون في شرعيّةِ إكرامِ الأيقونات. إنّهُ يستهدف المسيحيّين الذين أغرتهم دعايةُ محاربي الأيقونات، ومن ورائِهم اليهودَ والمسلمين، الذين يُنكرون على المسيحيّين رسم الأيقونات وإكرامَها.

ويحتلُّ أبو قُرَّة مكانةً خاصَّةً بينَ الكُتَّاب الكنسيّين المُدافعين عن الأيقونات، لأنَّهُ يتحدَّثُ في بيئةٍ عربيَّة، ويكشفُ لنا عن العقليّةِ المتفشِّيةِ في بعضِ الأوساطِ المتاخمةِ لحدودِ بلادِ الرومِ الشرقيّة. وقد قيلَ الكثيرُ عن تأثّراتِ الأباطرة الأيصوريّين، محاربي الأيقونات، بالعقليّةِ المناهضةِ للأيقونات لدى جيرانِهم العربِ والسريان.

٢ – أزمةُ الأيقونات

منذُ نشأَ فنُّ الرسمِ الكنسيِّ في القُرونِ الأولى المسيحيّةِ، وُجِدَ من تعرَّضَ لهُ، كما تعرَّضَ غيرُهم للموسيقى الكنسيّةِ واعتبروها بدعةً.

وإنَّ أنصارَ «الديانةِ بالروحِ»، أمثالَ اكليمنضوس الاسكندريّ (١٥٠ – ٢١٦) واوريجانوس (١٨٥ – ٢٥٤)، إستهجنوا رسمَ الصوَرِ الدينيّة، وتبعَهم في ذلك اوسابيوسُ أسقفُ قيصريّة، المؤرخُ الشهير (٢٦٥ – ٣٣٩).

وقبلَ أن تتفجّرَ علناً أزمةُ الصُّوَر، تعرَّضَ بعضُ الآباءِ القدّيسين لقضيّةِ الصُّوَرِ المقدَّسةِ وأظهروا شرعيَّتها. فالقدّيسُ باسيليوسُ يُبرّرُ رسمَ الصُّوَر وإكرامَها فيقول: «إنَّ إكرامَ الصُّوَرِ يَعُودُ إلى الشخصِ الذي تُمثِّلُهُ»[٢]، ويحرّض المصوّرين المسيحيّين، في خطابهِ عن القدّيس برلعامْ، على أن يُمجّدوا هذا الشهيد العظيم في لوحاتهم، ويُظهروا ما تحلّى بهِ من شجاعةٍ وثباتٍ في الإيمان.

وفي سنة ٥٩٩ كتب البابا غريغوريوسُ الكبيرُ إلى سيرينوسَ أُسقفِ مرسيليا، الذي كانَ أمرَ بنزعِ الصُّوَرِ المقدّسةِ من مدينتِهِ وتدميرِها: «بكلِّ حقٍّ أَذِنَتِ الكنيسةُ منذُ العُصورِ الأولى أن تُصَوَّرَ حياةُ القدّيسين في الكنائس. إنّك تستحقُّ المديحَ عندما تمنعُ المؤمنينَ من عبادةِ الصُّوَر، إلاَّ أنّك تستحقُّ التأنيبَ والملامةَ عندما تأمرُ بتدميرِها وتحطيمِها. فالسجودُ للصُّوَرِ شيءٌ والتعليمُ بواسطتِها

---

٢) مقال عن الروح القدس، الفصل ١٨ الفقرة ٤٥ .(P.G., t. 32, col. 149)، تعريب الارشمندريت أدريانوس شكور ص ٧٥.

– إلى من يجبُ أن تتوجَّهَ عبادتُها – شيءٌ آخر. إنَّ ما يقومُ بهِ الكتابُ المقدَّسُ تجاهَ الذين يُحسِنونَ القراءةَ تقومُ بهِ الصورةُ تجاهَ الأُمِّيِّين»[٣].

وكتب لاونديوسُ أُسقفُ نيابوليس في قبرص (٥٨٢ – ٦٠٢) مقالاً خاصًّا يُدافعُ فيهِ عن شرعيَّةِ إكرامِ الصُّوَرِ موجَّهاً ضدَّ اليهود، وهو «دفاعُ المسيحيّين ضدَّ اليهودِ وحولَ الأَيقوناتِ المقدّسة»[٤].

إلاَّ أنَّ الأزمة التي تفجّرت خاصّةً في القرن الثامن، والتي سبّبت آلاماً كثيرةً للمؤمنين العُبّاد، لا سيّمَا للرهبان، وقضت على الكثيرِ من الثرواتِ الفنيّة، كانت مناسبَةً لتوضيحِ معنى إكرامِ الأيقونات والتعمّقِ في لاهوتِها.

إنطلقت شرارةُ الحربِ ضدَّ الأيقونات من دمشق، إذ أمرَ الخليفةُ يزيدُ بنُ عبدِ الملك، عام ٧٢٣، بتحطيمِ جميعِ الصُّوَر في الكنائس والبيوت والمحلاَّت العامّة. ولا تزال آثار هذا التحطيم قائمةً في بعضِ ما تبقّى من آثار كنائس القرن الثامن. وقيلَ إنَّ يهوديًّا قد حَضَّ يَزيدَ على تحطيمِ الأيقونات مؤكِّداً له أنّه إن فعلَ طالَ عمرُهُ ثلاثينَ عاماً.

ويبدو أنَّ اعتراضاتِ اليهودِ والمسلمينَ حملت الكثيرينَ من مسيحيّي الشرقِ العربيّ على التشكيكِ في شرعيّةِ إكرامِ الأيقونات. ونشأ بين أساقفة المناطقِ الشرقيّة للامبراطوريّةِ البيزنطيّةِ تيّارٌ مناهضٌ للأيقونات قد يكونُ تأثَّرَ بهِ الامبراطور لاون الأيصوريّ (٧١٧ – ٧٤٠)، وهو من أبناءِ هذه المناطق. فقامَ بعضُ هؤلاء الأساقفة بمحاولةٍ فاشلةٍ لجذبِ البطريركِ القسطنطينيِّ القدّيس جرمانس إلى آرائِهم، وذلك قبلَ أن يُعلِنَ الامبراطورُ موقفَهُ من الموضوع. لكن ما لبثَ الامبراطورُ لاون أن جاهرَ بمعارضتِهِ للأيقونات عام ٧٢٦. وحاولَ عبثاً أن يستميلَ إلى رأيهِ البطريركَ جرمانس القسطنطينيَّ وبابا رومة غريغوريوسَ الثاني. ولما رأى أنَّ الأساليبَ المقنعةَ لم تنجح لجأَ إلى العُنف عام ٧٣٠. فقدَّمَ البطريركُ جرمانُس استقالتَهُ. واحتجَّ البابا غريغوريوسُ الثاني بقوةٍ على سلوكِ الامبراطور. وعقدَ خَلَفُهُ غريغوريوسُ الثالثُ مجمعاً في رومة عام ٧٣١، أدانَ تصرُّفَ مُحاربي الأيقونات. فانتقمَ الامبراطورُ بانتزاعِ جنوبِ إيطاليا والبلقان من سلطة رومة المباشرة، وضمَّها إلى البطريركية القسطنطينيّة، وتابعَ بعُنفٍ حملتَهُ ضدَّ الأيقونات ومكرِّميها.

وهبَّ في الشرقِ العربيِّ القدّيسُ يوحنّا الدمشقيُّ يدافعُ عن إكرامِ الأيقونات وهو في دير

---

٣) P.L., t. 77, col. 949

٤) P.G., t. 93, col. 1597-1610.

القدّيس سابا، وكتبَ ثلاثَ مقالاتٍ دفاعيّة[٥]، أَوضَحَ فيها معنى الأيقونة وفائدتَها الروحيّة والتعليميّة. وهو يميِّز بين سجود العبادة الذي لا يجوزُ إلاّ لله، والإكرام الموجَّهِ للقدّيسين والأيقونات. وهو يستندُ إلى التقليدِ الكنسيّ الذي يُبرّرُ إكرامَ الأيقونات، ويُفسِّرُ معنى حظرِ العهدِ القديمِ لتصويرِ الأحياءِ بظروفٍ لم تَعُدْ تَسري على أبناءِ الكنيسة.

وفي دفاعهِ الثاني، يأخذ يوحنّا على الأباطرة تدخّلهم في أمور دينيّة ليست من صلاحيّاتهم: «السلطة ليست للملوك في الكنيسة بل للأساقفة. أيها الملك نُطيعُكَ في ما يخصُّ إداءَ الجِزية، وفي الأمور الإداريّة... أمّا في الأُمور التي تخصُّ الكنيسة فلنا رُعاتُنا».

كتبَ يوحنّا هذا وهو تحتَ ظِلِّ الحُكمِ العربيّ، في مأمنٍ من الامبراطور. وكان لكتاباتِهِ تأثيرٌ كبيرٌ، واستندَ إليها جميعُ من كتبوا بعدَه في الدفاعِ عن الأيقونات. وتجرَّأَ البطاركةُ الملكيّون – بطاركةُ الإسكندريّة وانطاكيةَ والقُدس – وأدانوا الامبراطورَ البيزنطيّ.

وتابعَ الامبراطورُ قسطنطينُ الخامسُ كوبرونيموس (٧٤٠ – ٧٧٥) سياسةَ أبيهِ، وفاقَهُ في معارضةِ الأيقونات والرهبانِ مناصريها. وأرادَ أن يُعطيَ صبغةً قانونيَّةً لحملتِهِ، فأمرَ بعقدِ مجمع «هيرية» عام ٧٥٤. وتقدّمَ فيهِ قسطنطين بخطاباتٍ لاهوتيَّةٍ دعمَ فيها اعتراضاتِهِ على الأيقونات بنظريّاتٍ عقائديّةٍ في التجسّدِ لا تتّفقُ مع المجمع الخلقيدونيّ، ونكرَ شفاعةَ العذراءِ مريم والقدّيسين. وحرمَ الأساقفةُ تكريمَ الأيقونات إلاّ أنّهم أقرُّوا شفاعة العذراء والدةِ الإلهِ والقدّيسين. ولعنوا جرمانسَ «عابدَ الخشب»، ويوحنّا الدمشقيّ «صديقَ الإسلام وعدوَّ الدولة ومحرِّفَ الأسفارِ المقدَّسة»، وجاورجيوس القبرصيّ. ولم يشترك بابا رومة ولا البطاركة الملكيون في المجمع وشجبوا قراراته.

وتشدَّدَ قسطنطينُ في حملتِهِ ضدَّ الأيقونات ومكرِّميها، ولا سيّمَا بعد عام ٧٦١، إذ استتبَّ لهُ الأمرُ إثرَ انتصاراتهِ على البلغار والعرب. وأصدرَ عام ٧٦٦ قانوناً يوجبُ على جميع الرعايا أن يُقسِموا باللهِ بأنّهم لن يعبدوا الأيقونات. ومن امتنع عن الحلف حلَّ بهِ العذاب. ونكَّلَ الامبراطورُ بالمعارضين، وأحلَّ بهم أقسى العذابات.

وتابعَ ابنُهُ لاون الرابع (٧٧٥ – ٧٨٠) سياستَه الدينيّةَ بشيءٍ من الفتورِ مراعاةً لشعورِ زوجتِهِ إيريني الموالية للأيقونات. ولمَّا تُوفِّيَ لاون أصبحت إيريني الوصيَّةَ على العهد، وحكمت باسم ابنها

٥ P.G., t. 94, col. 1231-1420.

قسطنطين السادس. وسعت لتحسين العلاقات مع رومة والغرب سياسيًّا ودينيًّا ومهّدت بحنكة وسياسة لعقدِ مجمع يُعيدُ الوفاقَ بين المسيحيّين، ويُعيدُ إكرامَ الأيقونات. فعُقِدَ المجمعُ في نيقية عام ٧٨٧، وحضره موفدو بابا رومة والبطاركة الملكيِّين. وأقرَّ المجتمعون بأنَّهم يقبلون بالتصاويرِ عملاً بالتقليدِ القديمِ الموروثِ عن الآباءِ القدّيسين، وبأنَّهم يسجدون لها باحترامٍ نسبيّ. ثم ألغوا قرارات مجمع «هيرية»، وأعادوا رسميًّا اعتبار البطريرك جرمانس ويوحنَّا الدمشقيّ.

إنَّ المجمعَ النيقاويَّ أعادَ السلامَ إلى الكنيسةِ البيزنطيّة؛ ولكن لفترةٍ قصيرة. فإنَّ أغلبيَّةَ الجيشِ ورجالاتِ الدولة كانوا لا يزالون على ولائِهم للامبراطورَين لاون وقسطنطين الخامس، اللذَين قادا الجيش إلى النصر وأعادا إلى الدولة هيبتَها واستقرارَها. وكانوا على غرارِهما معارضين للأيقوناتِ، لا سيّمَا في المقاطعاتِ الشرقيّة.

وبعدَ النكسةِ التي حلَّت بالامبراطور ميخائيل «رانغابي» وقعَ الحكمُ بيدِ لاون الخامس الأرمنيّ (٨١٣ – ٨٢٠). وكان قائداً للجيش، وجنودهُ اسيويّون لا يحترمونَ الأيقونات. وارتأى أنَّ ما حلَّ بالبلاد متأتٍّ من إعادة تكريم الأيقونات، وطلب من البطريرك القدّيس نيقيفورس نزعَها من الكنيسةِ فأبى، فجدّد لاونُ الأرمنيُّ حربَ الأيقونات، وانبرى له ثاوذورس الاستوذيتيّ بحزمٍ لا يَقبلُ أيّة مساومة.

وحبًّا بالسلام، نهى خلَفُهُ ميخائيل الألثغ أيَّةَ مشادّةٍ حول الأيقونات. إلاَّ أنّ ابنَهُ ثاوفيلوس قَسَا على مكرّمي الأيقونات. ولم يَعُدِ الهُدوءُ والسلامُ إلى الكنيسةِ والمملكةِ إلاّ عام ٨٤٣، إذ أعادت الامبراطورةُ ثاوذورة إكرامَ الأيقونات، بمساعدةِ البطريركِ القدّيس مثوذيوس، الأحدَ الأوّلَ من الصوم، في احتفالٍ مهيبٍ تُجدِّدُ ذكرَهُ الكنيسةُ البيزنطيّةُ كلَّ عام، واختفت بعد ذلك أيَّة معارضة.

اختلفَ المؤرّخونَ في محاولتِهم معرفةَ أسبابِ هذه الأزمةِ التي مزَّقت الكنيسةَ البيزنطيّةَ طوالَ أكثر من قرن.

يرى بعضُهم أنّها حركةٌ سياسيّةٌ اجتماعيَّةٌ تبغي التصدّي للنفوذِ المتزايدِ للكنيسةِ والرهبانِ في الحياةِ العامّة. ويرى غيرُهم أنَّ دوافعَها دينيَّةٌ، وأنَّها تنوي إصلاحَ التقوى الشعبيّة والقضاءَ على الانحرافات والتأثيرات الوثنيّة التي تسرَّبت إليها، والتقرّب من الإسلام المُجاورِ الذي يستهجنُ إكرامَ الصُّوَر.

وقد ارتأى بعضُهم أنَّها متأثّرةٌ بنظريّاتٍ لاهوتيَّةٍ تنفي ارتباطَ اللهِ بالمحسوس، وإمكانيّةَ تصويرِ المسيحِ الإله. ويَعزونَ ذلك إلى انحيازِ الأباطرةِ الأيصوريّين محاربي الأيقونات إلى الكنيسةِ السِّريانيَّةِ التي تنادي بوحدةِ طبيعةِ الكلمةِ المتجسِّد.

إن المؤرّخ البيزنطي ثاوفانوس، وهو من القرن الثامن ومعاصرٌ للأحداث، يقول بهذا الرأي. وجاء في سيرة القدّيس استفانوس الجديد، الذي استُشهِدَ في عهدِ قسطنطين كوبرونيموس عام ٧٦٤ أنّه، إذ كان يخطب في الرهبان المجتمعين حوله في موضوع الأيقونات، كان يعزو ما حلَّ بهم من ضيمٍ إلى اليهودِ والسريان[٦].

إن المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم متروبوليت حلب للسريان الارثوذكس يرفض هذا الرأيَ ويقولُ في كتابه «السريان وحرب الأيقونات»: «بقيت كنيسةُ انطاكية السريانيةُ بعيدةً عن مسرحِ التاريخِ البيزنطيّ منذ أواسطِ القرنِ الخامسِ للميلاد... ولهذا فلا غرابةَ إذا قلنا ان لا علاقةَ للسريان، لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، بحربِ الأيقونات»[٧].

يسندُ المطرانُ غريغوريوس يوحنا ابراهيم موقفَهُ هذا إلى شهاداتٍ عديدةٍ تُثبتُ تكريمَ الكنيسةِ السريانيّةِ الارثوذكسيّة للأيقونات. ولكن مِمّا لا شكَّ فيهِ أنّ إكرامَ الأيقونات لم يبلغ في الكنيسةِ السريانيّةِ شأنَهُ في الكنيسةِ البيزنطيّة. ومن الممكن أن يكون بعضُ الأباطرةِ المتشاغلين بأمورِ اللاهوتِ قد استنتجوا من مبادئ اللاهوت الخريستولوجيِّ السريانيّ نظريّاتٍ منحرفةً في شأنِ الأيقونات لا تُقِرُّ بها الكنيسةُ السريانيّةُ الرسميّة. وهذا ما فعلَهُ قسطنطين كوبرونيموس في مجمع «هيرية» (٧٥٤). وإنَّ المطران غريغوريوس ابراهيم، الذي يبغي من كتابهِ المذكور «الاعتراضَ على الرأيِ القائلِ بأَنَّ بعض الأباطرة البيزنطيّين كانوا متأثّرينَ بآراءِ مونوفيسيّة» (كذا)[٨] يوردُ، نَقْلاً عن المؤرّخينَ السريان (ميخائيل الكبير وابن العبريّ)، ما يُشيرُ إلى كونِ أيمّة المضطهدينَ للأيقونات من أنصارِ السريانِ الارثوذكس:

«في هذه السنة (٧٥٤)، دعا قسطنطينُ إلى مجمعٍ عامٍّ حضرَهُ العديدُ من الأساقفة. وإذْ إنَّ المجمعَ منعَ عبادةَ وتكريمَ الأيقونات والصُّوَر، وحرمَ جرمانسَ الأوّل بطريرك القسطنطينيّة ويوحنّا الدمشقيَّ وجرجس القبرصيَّ، وهؤلاء الثلاثةُ كانوا على مذهبِ مكسيموسَ المعترفِ عندهم، لذا **كرهَهُ الخلقيدونيّون، بينما كانَ قسطنطينُ عادلاً في تفكيرِهِ، صحيحاً في معتقدِه، مستقيماً في إيمانِهِ**» (ص ٣٤ – ٣٥).

«كان لاونُ الرابعُ ارثوذكسيًّا عندما خلفَ والدَه قسطنطينَ الخامسَ على العرش، ونَقَلا عن

---

٦) P.G., t. 100, col. 1112-1117.

٧) المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم، السريان وحرب الأيقونات، حلب ١٩٨٠، ص ١١.

٨) الكتاب المذكور، ص ١٢ – ١٧.

مؤرخٍ خلقيدونيٍّ يُقالُ إنَّهُ منعَ عبادةَ الأيقونات، ومن أجل هذا قيلَ **إنّهُ ارثوذكسيٌّ أي لاخلقيدونيٌّ**... والعلاَّمَةُ ابنُ العِبريّ يُضيفُ أنَّ لاونَ نفى السريانَ إلى تراقيا. وأنَّه **تمثَّلَ بوالدِهِ قسطنطين في محاربةِ مكرّمي الأيقونات والصُّوَر لأنّه كان أرثوذكسيًّا**»[٩].

وانّ ما يوردُهُ أبو قُرَّة في مطلعِ المقالِ الذي نحنُ في صددهِ، يُثبتُ أنَّ الآراءَ المعارضةَ لإكرامِ الأيقوناتِ أخذت تتفشى في الرُّها نفسِها، وهي قلبُ الكنيسةِ السريانيّة. فالقطيعةُ لم تكن على ما يظنُّ بين العالَمَينِ: السرياني والبيزنطي.

«إنك أخبرتَنا يا أخانا أَنْبَا يَنَّه المقدَّس، وأنت عندَنا بالرُّها، أنَّ كثيراً من النصارى يتركونَ السجودَ لصورةِ المسيحِ إلٰهنا، الذي أمكنَ أن يكونَ لهُ صورةٌ لتجسّدِهِ من روحِ القدسِ ومن مريمَ العذراء...» (١/١).

ويبقى التساؤل: هل السوريّون أثَّروا في إشعال الحرب ضدَّ الأيقونات في العالمِ البيزنطي، أم إنَّ شرارتَها انتقلت إليهم من هناك؟ إنّمَا ما لم يعد من شكّ فيهِ هوَ أنَّ مسيحيّي سوريا لم يبقوا على هامشِ أَزمةِ الأيقونات. وقد انبرى ثاوذورس أبو قُرَّة للدفاع عنها في الميمرِ الذي نحن في صَدده.

٣ – صِحَّة المَقال

* الدلائلُ الخارجيّة

إنَّ صحّةَ نسبةِ الميمرِ الذي نحن بصدده إلى أبي قُرَّة ثابتةٌ بشكلٍ متميّز. فإنّ سعيداً ابن البطريق، بطريرك الاسكندرية الملكيّ، الذي كتبَ تاريخَهُ في مطلع القرن العاشر، يُشيرُ إلى ميمرٍ لأبي قُرَّة في الأيقونات. فقد جاءَ فيهِ، بعدَ ذكرِ كتابات صوفرونيوس البطريرك الاسكندري ضدَّ محاربي الأيقونات، ما يلي: «وكانَ أبو قُرَّة مِمَّن ثبَّتَ أيضاً السجودَ للصُّوَر ووضعَ في ذلك كتاباً سمَّاهُ: ميامر في السجود للصُّوَر»[١٠].

وإنّ مخطوط لندن ٤٩٥٠ ب، الذي حفظَ لنا المقال، منسوخٌ سنة ٨٧٧، أي نصفَ قرنٍ فقط بعدَ وفاة أبي قُرَّة، وهو ينسبُهُ بصراحةٍ إلى مؤلِّفِنا: «ميمرٌ قالَهُ أنبا ثاوذورس أسقف حرّان، وهو

---

٩) الكتاب المذكور، ص ٣٥.

١٠) *Eutychii patriarchae Alexandrini Annales*, éd. L. CHEIKHO, C.S.C.O. (50-51), t. II, p. 64, ligne 14.

أبو قُرَّة، يُثبتُ فيهِ أنَّ السجودَ لصورةِ المسيحِ إلهنا الذي تجسَّدَ من روحِ القدسِ ومن مريم العذراءِ المطهَّرة وصُوَرِ قدّيسيه واجبٌ على كلِّ نصرانيّ».

* **الدلائل الداخلية**

آ – إنّ مؤلِّف مقالنا يُشيرُ إلى ميامرَ سابقةٍ كتبها تناسبُ ميامرَ أبي قُرَّة المعروفة. فيقول: «وقد وضعنا نحن، أهل الجسارة، ميامرَ مِمَّا استفدنا من دقائق تعليم آبائِنا القدّيسين، حقّقنا بها أنّه لا كتابَ يَثبُتُ من العقلِ بتَّةً اليوم، إلاّ الإنجيلُ وكلُّ ما يُحَقِّقُهُ الإنجيل» (رأس ٦، فقرة ٥).

إنّ الموضوعَ الأساسيَّ لمقال أبي قُرَّة في «وجود الخالق والدين القويم» هو المقارنة بين جميع الكتب التي جاءَ بها مؤسِّسو الأديان، والإثبات بنور العقل أنَّ الإنجيلَ وحدَهُ آتٍ من الله، وأنَّ العهدَ القديمَ لا يُقبَلُ إلاّ لأَنَّ الإنجيلَ يشهدُ لهُ[١١].

وقد عاد أبو قُرَّة إلى هذا الموضوع في المقال السادس (الرابع من مجموعة باشا) وعنوانه: «ميمر يُحقِّقُ الإنجيل، وأنَّ كلَّ ما لا يُحقِّقُهُ الإنجيلُ فهو باطل»، وفي المقال الخامس عشر (التاسع من المجموعة عينها): «ميمرٌ في تحقيقِ ناموس موسى... والإنجيل الطاهر... وتحقيق الارثوذكسيّة»... وقد أشارَ إليهِ في المقال في الحريّة (المقال الرابع، وهو الأوّل من مجموعة باشا) إذ قال: «فنحن ليس غايتُنا في ميمرنا هذا، لا أن نُحقّق الإنجيلَ أنّه هو الناموسُ الحقُّ التامُّ من بين كلِّ ما نُسِبَ إلى الله، ولا أن نُقرِّرَ أهلَ الجحود بالحقّ، لأنّنا قد فعلنا ذلك في غير هذا»[١٢].

ب – في مقالنا تعابير ومقاطع تردُ تقريباً كما هي في مختلف ميامر أبي قُرَّة: وإليك أهمّ مقاطع مقالنا التي نجدُ ما يوازيها في مقالات أبي قُرَّة المعروفة. وقد أثبتنا في عمود اليمين المقاطع المأخوذة من الميمر في إكرام الأيقونات، وفي مقابلها، في عمود الشمال، المقاطع التي تناسبها في المقالات الأخرى المنسوبة لأبي قُرَّة.

---

١١) ديك، ص ١٤٠ – ١٤٣.

١٢) قسطنطين باشا، ميامر ثاوذورس أبي قرّة (= باشا) ص ١٠.